جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين قسم العقيدة ومقارنة الأديان

المقياس: فقه اللغة

المستوى: السنة الثالثة ليسانس

الأستاذة: حويشي أم كلثوم

1 / مناسبة الألفاظ للمعاني

مناسبة الحروف العربية لمعانيها:

تعد الظاهرة اللغوية من أهم الظواهر الطبيعية التي شغلت فكر الإنسان مند القدم، وقد وقف عندها الفلاسفة وقفات طويلة لمعرفة حقيقتها، وجوهرها،كما تناولها العلماء على اختلاف تخصصاتهم. ومن أهم هذه الظواهر اللغوية، ظاهرة اللفظ والمعنى التي أدرك العلماء على نحو جيَد قوة الترابط بينهما، كما أدركوا قيمة المعنى في التعبير، ومكانة الألفاظ حين تنضم إلى بعضها، فلا يقوم المعنى بغير اللفظ كما لا يقوم الروح بغير جسد.فهما متلازمان تلازم الروح والجسد.

لقد بحث اللغويون العرب في طبيعة الصلة بين اللفظ والمعنى، وعلى رأسهم "ابن جني"، فقد خصَص في كتابه "الخصائص" فصلين لمعالجة هذه القضية، هما: "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" و باب "في إمساس الألفاظ أشباه المعاني"، ففي الباب الأول عرض فيه نماذج من الكلمات المتقاربة في معظم حروفها، وذلك لتقارب مدلولاتها. أما الباب الثاني فتحدث فيه عن وضع الألفاظ على صورة مناسبة لمعناها، ويفترض أن صيغة "الفعلان" تفيد الاضطراب كالغليان و الفوران.

وقد وضع ابن فارس معجما سماه "مقاييس اللغة" وجَه فيه كل عنايته لاستنباط الصلات بين الألفاظ ودلالاتها، على ما عالجها به ابن جني في كتابه "الخصائص" ، غير أن ابن فارس قد بلغ الذروة في معجمه، فغالى و أسرف في استنباطه، فاستنبط من الصلات ما لا يخلو من التكلف. وما نودَ بيانه هو ما لاحظه علماؤنا من مناسبة حروف العربية لمعانيها، وما لمحوه في الحرف العربي من القيمة التعبيرية الموحية إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبَر عن غرض، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص، ما دام يستقل بإحداث صوت معين. وكل حرف له ظل وإشعاع، إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع.

وقد ذكر علماء العرب الأمثلة على ذلك، واحتجوا بالشواهد التي لا يسهل ردَها، فقد مالوا إلى الاقتناع بوجود التناسب بين اللفظ ومدلوله في حالتي البساطة و التركيب، وطوري النشأة والتوليد، ومنها:

أ- ففي حالة البساطة(الحرف الواحد)- وهو جزء من الكلمة- يقع على صوت معين، ثم يوحي بالمعنى المناسب، سواء أكان الحرف في أول اللفظ أم وسطه، أو آخره، فمما وقع في أول الكلمة "صعد"،و" سعد"، فجعلوا الصاد لأنها أقوى لما فيها أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل ونحو ذلك، وجعلوا السين لضعفها لما لا يظهر ولا يشاهد حسا إلا أنه مع ذلك فيه صعود الجدَ لا صعود الجسم. ومن ذلك قولهم: "خضم" و"قضم"، فالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ، والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس، نحو: قضمت الدابة شعيرها ونحو ذلك...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس،حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.

ومما وقع وسط الكلمة : التاء، والطاء، والدال،في تركيب: (ق ت ر) و(ق ط ر) فالتاء خافية مستفلة، والطاء سامية متصعدة، فاستعملتا لتماديهما في الطرفين، كقولهم: قتر الشيء و قطره، والدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء، فكانت لذلك واسطة بينهما، فعبَر بها عن معظم الأمر و مقابلته، فقيل: قدر الشيء لجماعه.

ومن ذلك قولهم:"الوسيلة" و "الوصيلة"، والصاد أقوى صوتا من السين، لما فيها من الاستعلاء، والوصيلة أقوى معنى من الوسيلة. وذلك أن التوسل ليس له عصمة الوصل، والصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء و مماسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له ... والتوسل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسل جزء أو كالجزء من المتوسل إليه وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى والسين لضعفها للمعنى الأضعف.

ومما وقع أخرفي الكلمة: "النضح"،و"النضخ"، فالنضح للماء ونحوه –سيلانه برفق– والنضخ أقوى من النضح، قال تعالى:(فيهما عينان نضاختان) الرحمن ،فجعلوا الحاء لرقتها للماء الضعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى.

ويؤكد ابن جني في كتابه الخصائص أن في تقديم ما يضاهي آخره، وتوسط ما يضاهي أوسطه سوقا للحروف من على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب. ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن جني في كتابه الخصائص: من ازدحام الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون،إذا مازجتهن الفاء على التقديم و التأخير،فأكثر أحوالها و مجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما. وشواهده على ذلك فيما لا يُرد، كالشيء التالف، و الشيخ الدالف، والدنف للمريض، والفتور للضعف...

ب/ في حال التركيب:

لاحظ العلماء كذلك القيمة التعبيرية للحرف مع أخيه في لفظ ثنائي، وقد خصَه ابن جني في كتابه "الخصائص" ببحث قيم عنوانه:" باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" وفيه أشار إلى تلك المناسبة الطبيعية بين اللفظ ومدلوله، ويستهل الباب بقوله:" اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبَه عليه الخليل، وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته، قال الخليل:" كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة و مدا، فقالوا:صرٌ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن فعلان أنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو:الغليان والغثيان، وكذلك صيغة "الفعللة" تفيد التكرير، مثل صرصر الجندب، أي كرر في تصويته، وصيغة "الفعلى" تفيد السرعة.

2/ ظاهرة الاشتراك اللفظي في العربية:

الأصل في كل لغة أن يوضع اللفظ الواحد للمعنى الواحد، ولكن ظروفا تنشأ في اللغة تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد، أو تعدد المعاني للفظ الواحد، يقول سيبويه: "واعلم أن من كلامهم، اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين." الكتاب سيبويه7/1.

ويقول قطرب: "الكلام في ألفاظه بلغة العرب، على ثلاثة أوجه، فوجه منها وهو الأعم الأكثر: اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين.. وذلك قولك: الرجل والمرأة، واليوم والليلة، وقام وقعد...وهذا لا سبيل لجمعه وحصره، لأن أكثر الكلام عليه. والوجه الثاني: اختلاف اللفظين والمعنى متفق واحد، وذلك مثل:عيْر وحمار، وقعد وجلس..والوجه الثالث: أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعدا، وذلك مثل : الأمَة الرجل الواحد يؤتم به. والأمَة القامة، قامة الرجل، والأمَة من الأمم. ومن هذا اللفظ الواحد الذي يجيء على معنيين فصاعدا، ما يكون متضادا في الشيء وضده." أضداد قطرب، ص244.

2/ 1– تعريف المشترك اللفظي:

المشلرك اللفظي هو: –" اتفاق اللفظين والمعنى مختلف، نحو قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة". الكتاب سيبويه،15/1.

–"وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة". المزهر في علوم اللغة، السيوطي 369/1

– هو ما اتحدت صورته،واختلف معناه.

2/2 –حكم وقوع المشترك في اللغة:

قال العلماء عن حكم وقوع المشترك اللفظي في اللغة:

أ– إنه ممكن الوقوع، أي لا مانع عقلي من وقوعه في اللغة.

ب– ويقولون أيضا: إنه واقع فعلا لوجوده في اللغة، ولنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ.

ج– وأوجب بعضهم وقوعه، لأن المعاني غير متناهية، والألفاظ متناهية. فيلزم الاشتراك و يجب وقوعه، ليفي بتغطية المدلولات الاجتماعية التي تسبق المدلولات اللغوية، حتى تفي اللغة بمطالب الحياة والأحياء.

د– أنكر بعض العلماء وجوده، ومنهم ابن درستويه، حين قال:" فإذا اتفق البناءان في الكلمة والحروف، ثم جاءا لمعنيين مختلفين، لم يكن بد من رجوعهما إلى معنى واحد يشتركان فيه، فيصيران متفقي اللفظ و المعنى". وذكر في موضع آخر: "فلو جاز وضع لفظ واحد، للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لِعلل...وإنما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، أو لحذف واختصار قد وقع في الكلام، حتى اشتبه اللفظان، وخفي ذلك على السامع، وتأول فيه الخطأ .وهذا ما دعى إليه أبو علي الفارسي، بأن : "اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، ينبغي ألا يكون قصدا في الوضع، ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى، ثم تستعار لشيء، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل".

3/2– عوامل نشأة المشترك اللفظي:

يمكن أن نلخص عوامل المشترك اللفظي في العربية عموما، فيما يلي:

– الاستعمال المجازي، أي أن اللفظ الواحد لم يكن له إلا معنى واحد على سبيل الحقيقة، ثم تضمن معاني أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز.

– اختلاف اللهجات العربية القديمة، فلما اختلف الاستعمال لديهم، جاء جامعوا اللغة فضمَوا هذه المعاني بعضها إلى بعض دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بإرجاع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه.

– اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة.

– التطور اللغوي، فقد تكون ظاهرة المشترك اللفظي في بعض الأحيان نتيجة تطور صوتي في بعض الكلمات، مثل:"التغب" بمعنى الوسخ والدرن، أو القحط والجوع. وجاء "السغب" بمعنى الجوع، فلعل السغب تطور إلى التغب، ويشفع لهذا ما يروى عن بعض قبائل اليمن التي تقلب السين تاءً.

– المعنى العام للأصول، إذ أن أكثر الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة، لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام .مثلا: "الدليل" يقصد به من يدلَ على الطريق، أو من يطوف مع السائحين ليدلَهم على الأماكن الجديرة بالزيارة. ويراد به الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد، ويقصد به الحجة المنطقية والبرهان. . .

3/ التضاد الغوي في العربية :

ظلت مشكلة الأضداد غامضة في العربية، وطال النقاش والجدل فيها مع كثرة البحوث والكتابة حولها، وتأخر توثيق رسائل الأضداد حتى القرن الثاني للهجرة، وإن نبَه عليها الأقدمون. والتضاد نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن ، ولا سيما بين الألوان، فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد، فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني.

ويعرَف أبو الطيب اللغوي الأضداد في كتابه الأضداد، بقوله:" الأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه، نحو: (البياض والسواد)، و(السخاء والبخل)،و(الشجاعة والجبن). وليس كل ما خالف الشيء ضدا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان وليس ضدين، وإنما ضد القوة الضعف، وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضادّ إذ كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين ضدين.

ويبيَن السيوطي العلاقة بين المشترك اللفظي والتضاد بقوله:"التضاد نوع من المشترك. وذكر أن بعض العلماء أيدوا ذلك، وذهبوا إلى أن المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين، كا"الجون" للأبيض والأسود، و"الجلل" للأمر اليسير والعظيم . وما يقع على مختلفين غير ضدين كا "العين" تطلق على العين الباصرة، والذهب، ومنبع الماء، والجاسوس،...

التصنيف في الأضداد:

وضع القدماء و المحدثون من العرب وغيرهم من المستشرقين مصنفات كثيرة في الأضداد، منها ما وصلنا ومنها ما لم يصلنا، وقد استمر التأليف في الأضداد من القرن الثالث للهجرة حتى منتصف القرن السابع للهجرة (206هـ.650هـ) ومن هذه الكتب:

- كتاب الأضداد لأبي علي المستنير المعروف بقطرب (ت 206هـ).
- كتاب الأضداد لأبي حاتم السجستاني (ت 255هـ).
- كتاب الأضداد لأبي بكر محمد بن القاسم المعروف بابن الأنباري (ت328هـ)
- كتاب الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيب اللغوي (ت 351هـ).

أما الكتب التي ذكرت أبوابا خاصة في الأضداد، منها:

- أدب الكاتب، لابن قتيبة ت 276هـ
- فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي(ت 430هـ).
- المخصص،لابن سيده (ت 485هـ).
- المزهر في علوم اللغة، للسيوطي(ت911هـ).

عوامل نشأة التضاد:

1- تحسين القبيح استجلابا للخير والسلامة، أو التفاؤل. ومن ذلك المفازة تقع على(النجاة والمهلكة)، وإطلاق السليم على (السالم والملدوغ)، وإطلاق البصير على (المبصر والأعمى)، والناهل(للعطشان والريَان)، و المسجور (للمملوء والفارغ).

2- تقبيح الحسن اتقاء الحسد، ومن ذلك قولهم: فرس "شوهاء" إذا كانت حسنة الخِلقة، وإطلاق "البلهاء" على المرأة الكاملة العقل، ومنه كلمة "الخشيب" بمعنى السيف الذي لم يصقل، وإطلاقها على السيف الصقيل إنما كان فرارا من العين، و اتقاءً لشر الحسد.

3- التهكم والسخرية، ومن أمثلة الأضداد: المفرح (للمسرور و الحزين المثقل بالدَين)، و السامد(للحزين واللاهي)، والصريم (لليل والصبح)، والصارخ(للمستغيث والمغيث)، فزع (إذا ارتاع وإذا أغاث غيره)، البين (للوصل والفراق)، والقانع (للراضي و السائل). والعاقل (للجاهل والعاقل).

4 - اختلاف اللهجات العربية.

5 - التطور اللغوي: قد يحدث في بعض الأحيان، أن توجد كلمتان مختلفتان لهما معنيان متضادين، فتتطور أصوات إحداهما بصورة تجعلها تنطبق على الأخرى تماما، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان

متضادين. ومن أمثلة ذلك:كلمة "تلحلح" بمعنى أقام وثبت، وبمعنى زال و ذهب، فإن هذا المعنى الثاني كان في الأصل لكلمة أخرى وهي "تحلل"، ثم حدث قلب مكاني، فقدمت اللام وأخِرت الحاء.

6 – عموم المعنى الأصلي: قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاما، ثم يتخصص هذا المعنى في لهجة من اللهجات،كما يتخصص في اتجاه مضاد في لهجة أخرى،ومن ذلك كلمة "المأتم"عدَها أبوحاتم، وقطرب من الأضداد، لأنها تدل على النساء المجتمعات في فرح وسرور،كما تدل على النساء المجتمعات في غمٍ و حزن ومناحة. والأصل في ذلك عموم المعنى، فالمأتم اجتماع النساء في الخير والشر.

7–المجاز والاستعارة:كإطلاق كلمة "الأمَة" على الجماعة و على الفرد.

موقف العلماء من الأضداد:

أنكر أبو العباس المبَرد (ت285هـ) وجود الأضداد في كلام العرب، وكذلك ابن درستويه (ت437هـ) الذي أنكر المشترك اللفظي و الأضداد. وردَ ابن فارس علل منكَري التضاد في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة" ، بقوله:" ومن سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد، نحو "الجون" للأسود و الأبيض، وأنكر ناس هذا المذهب. وأنَ العرب تأتي باسم واحد للشيء وضده، هذا ليس بشيء. . ."

واحتج أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي(ت377هـ) على منكَري الأضداد معتمدا على دلالتي السماع والقياس معا. وقد وصل إلينا هذا الرد من طريق ابن سيَده في كتابه "المخصص" : "اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وعليه فالأضداد لم يضعها أهل اللغة قصدا ولا هي أصل، وإنما نشأت كسائر ما اتفق لفظه واختلف معناه، نتيجة أحد عاملين: تداخل اللهجات، والتوسع في استعمال المعنى المجازي حتى يصير بمنزلة المعنى الأصلي".

وتتفق نظرة ابن الأنباري مع أبي علي الفارسي إلا أنه علل الأضداد بتداخل اللهجات كما فعل أبو علي الفارسي، ثم أورد لها علة أخرى، فقال: إذا وقع الحرف (أي اللفظ) على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك "الصريم"، يقال لليل صريم وللنهار صريم، لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع.

يقول الجواليقي:" المحققون من علماء العربية، ينكرون الأضداد ويدفعونها، قال أبو العباس أحمد بن يحي: ليس في الكلام ضد. قال:لأنه لو كان فيه ضد، لكان الكلام محالا، لأنه لا يكون الأبيض أسودا، ولا الأسود أبيضا. و كلام العرب وإن اختلف اللفظ، فالمعنى يرجع إلى أصل واحد، ف"الصارخ" المستغيث و"الصارخ" المغيث، لأنه صراخ منهما. والقُرء الوقت، فاحتمل أن يكون للحيض والطهر."

و يذكر ابن دريد في معجمه" جمهرة اللغة" " أن الأضداد لا تكون كذلك إلا في لغة واحدة، إذ يقول: "الشعب":الافتراق، و"الشعب": الاجتماع، وليس من الأضداد إنما هي لغة قوم." وعليه فإن التضاد ينشأ أولا في لهجات مختلفة، ثم تستعير كل لهجة المعنى المستعمل عند الأخرى، وبذلك يجتمع المعنيان المتضادان في هذه اللهجة، عن طريق تلك الاستعارة.